الخميس 25 سبتمبر 2003

رائد الواقعية الانطباعية الأنيقة

غداً إزاحة الستار عن نصب تذكاري لعمر الأنسي في بيروت

يقظان التقي

تستعيد بيروت غداً في السادس والعشرين من الجاري عمر الأنسي (1901ـ 1969)، أحد أشهر رواد الحركة الكلاسيكية والانطباعية في لبنان عبر إزاحة الستار عن نصب تذكاري فخم شيّد له في قلب العاصمة، في شارع الكبوشية ـ الحمامات الرومانية الموازي لشارع المصارف.

التمثال يأتي في الذكرى الرابعة والثلاثين لرحيل الأنسي وأنجزه النحات نبيل حلو على مدى ثلاثة أشهر ابتداءً من 1/5/2003 حيث بدأ العمل على المشروع، وذلك بعد أن تم اختيار المكان من قبل شركة سوليدير وموافقة محافظ بلدية بيروت يعقوب الصراف ورئيس بلديتها عبد المنعم العريس.

التمثال أخذ موقعه نهار الاربعاء، وهو تمثال كامل بحجم طبيعي يصل الى ارتفاع متر وسبعين سنتيمتراً يظهر الأنسي وهو يحمل مرسمه بين يديه يلون عليه رسومه.

الموتيف النحتي ارتكز على صورتين فوتوغرافيتين للراحل نشرتا أخيراً في كتاب فني صدر عن "متحف سرسق" على هامش معرض استعادي. واحدة يحمل فيها مرسمه، وأخرى وهو في الحديقة بين غزلانه، وجرى العمل على الغزلان بأحجامهم الطبيعية.

الحجر برونزي من البني المحروق واعتمد النحات الطريقة الكلاسيكية في النحت بالدرجة الأولى على بعض من تعبيرية، لكن التعامل انتهج الأسلوب الواقعي مع شخصية معروفة من دون الذهاب الى التجريد للتأكيد التعبيري هنا على أوجه الشبه، والحمولات التشكيلية بقيت في إطار التعامل مع المادة والتفاعل مع الأحاسيس وعلاقة الجسد مع الضوء الخارجي.

أما الموقع فيتضمن معنى ثقافياً في الإطلالة التي يبدو معها الرسام في وقفته كمن يفتي في المدينة، هذا الى المعنى الجمالي في العمل النحتي المنجز، والمعنى البيئي والحسي والسياحي.

عمر أنسي يتمتع بثقافة عامة تنبع من ضميره الفني الذي يرتكز على ملاحظة طبيعية غنية بالتنوع ويكاد

يكون الوحيد بين رعيله الذي اقتربت أعماله الواقعية من التجديد بصفاء ألوانها وتركيزها، وهو من عشاق الطبيعة بريشته وروحه المجردة التجريبية، وبإحترامه للون الذي جسم فيه الواقع تجسيماً رائعاً وبشفافية، وهو بذلك رائد بين أترابه وفي طليعتهم قيصر الجميل ومصطفى فروخ وجان خليفة..

كان الأنسي من أرفع الفنانين اللبنانين وأكثرهم شفافية وأرفعهم، وأكثرهم شفافية في شغله على لوحات بين الطبيعة والإنسان وحتى في طرحه المواضيع التقليدية، وهو طور فيها تطويراً رائعاً بكيفيات من مثل تقريب اللون من اللون والبحث عن جوهر المشهد، ولكنه لم يتجاوز حدود الانطباعية الكلاسيكية وبقيت علامة إستفهام عن الأستاذ الذي على ما يبدو لم يخرج عن تعاليم الانطباعية التي كانت حدوده ولم يجرب أن يظهر منها الألوان، إذ كيف يمكن للأستاذ أن يوضح خروجه عن الطبيعة والواقع، والواقع هو الحد الاقصى لاحتمالات الابداع لدى شاعر الطبيعة اللبنانية كما لدى أترابه من رعيل الهواء الطلق.

حدس

يحدس الأنسي باللون بطريقة عميقة من ضمن معالجته المساحة الصغيرة في ما يشبه الخروج بلوحة تجريبية داخل اللوحة من خلال تعشيق الألوان وتحقيق امتياز رائع في اللوحة الانطباعية والواقعية، مما يجعل منه صاحب بصمة لونية تشكيلياً لجهة اللون والرسم.

فنان، إنسان ناعم ورقيق، وسطي القامة، نحيل الجسد، ذو عينين زرقاوين، وصاحب نكتة. مربي الغزلان، ابن تلة الخياط، برجوازي مديني متقوقع بعض الشيء يفضل العزلة، لم يبق شيء من منزله (هندسة معمارية عربية من أعمال القرن التاسع عشر) سوى طاولة طعام مع غطائها القديم، وبعض كتب ومخطوطات وقصاصات بخط يده، وكرسي صالون، وآنية مكسورة، وجرنٍ حجري، وقنديل الكاز، ومنحوتة من الجفصين، وصدف بحر كان يجمعه، وجداريات من سجاد، وبورترية وبعض المعلقات الأخرى وفق الاحصائية الأولية التي تعرضها حفيدة الفنان الراحل مي الأنسي.

بيت الأنسي كان قائماً شمال شرق محطة التلفزيون في تلة الخياط، لكن من المعروف أنه كان يألف الطبيعة الريفية والقروية في عين زحلتا أو ميروبا في الاربعينات بعيداً عن ضوضاء المدينة ومنزله أيضاً في ميروبا هندسة تقليدية قديمة وحيث مددت زوجته الثانية الفرنسية الأصل ماري بيوير إقامتها قليلاً ولم يطل بها المقام في البلاد كثيراً بعد وفاة عمر وتواترت في مكان ما في الالزاس وتوفيت.

المعروف أن زيجات أنسي كانت توأمة مع الزواج مع الطبيعة العذرية، أقرب الى الأيقونة والرهبنة، يعشن أي النسوة (زوجتان فرنسيتان متقدّمتان في السن) بين يديه مثل الراهبات لا ينجبن أطفالاً فيما أهتم كثيراً بأولاد شقيقته متفرغاً عن الحياة الاجتماعية.

كان الدخول الى منزله يشبه الدخول الى متحف يقوم على أرض عذرية، وسطح من قرميد، وجدران تدلف منها الماء، ودرج قديم، وفضاء واسع من الزنبق البري والزعرور والنخيل والحمبلاس والجميز وشجر الرمان والصبير وشجرة سرو كبيرة ومقعد خشبي مستطيل كان يجالس عليه أصدقاءه (وهو يرتدي الشورت القصير في يده حقيبة ووراء أذنه قلم رصاص) من أمثال رشيد وهبي، جوزف مطر وخليل الصليبي وداود القرم ويوسف الحويك.. وآخرين على فنجان الشاي أو الشوفنين (نوع من القمح).

المسألة هي نتاج عمر أنسي على مدى 34 عاماً وأعماله ونتاجاته كثيرة مشتتة . إذاً كيف يعود الى بيروت والى وسطها الذي بنى فيه والده عيادته كطبيب (شارع المصارف) وذلك في غياب الكثير مما تركه ؟

السؤال ربما في مكان آخر أين ذهبت لوحات الأنسي ولماذا يقبض عليها وتحاصر بأيدي الورثة ولا تكون بمتناول رؤية الأجيال الجديدة فيما يشهد ولادات متجددة للأنسي ورعيله في الصحو الثقافي العام القابل للقراءة والمعاينة والاستدلال.

إذاً بعد تمثال جبران خليل جبران والحديقة التي سميت على اسمه يطل عمر الأنسي في بيروت، والمناسبة الفاصلة نافذة على صاحب تجربة مهنية من رعيل محترف وجدي، ومن زمن النصف الثاني من القرن العشرين، زمن إضاءات المدينة وإغراءات جلدها الأنيس المعقود على حكايا الطبيعة والقلب وضرباته اللونية الوجدانية والعاطفية على مدى من جماليات فضاءات الحرية، وإيقاعات الألوان والأماكن والنص التشكيلي في إنتماءاته الى المنظر الطبيعي.

المهم أن عمر الأنسي إشتغل في الحيز المتسع المديني من الوقت والانتاج والخلق والجمال ومع ذلك لم يلاقِ صاحب الانتاج الغزير الجهة التي ترعاه في حياته، وبقي في عزلته ووحدته تماماً كالابتسامة الخجولة الحذرة في رسومه.

معلم المائيات

كتب الرسام امين الباشا متطرقاً الى فن عمر الأنسي فقال: "لنجرب للمرة الأخيرة الماء والزهور والصخور، المرأة، الرجل، الطير، الغزال، التفاحة، الدار، الحديقة، الساقية، النبع، البحر، الشاطئ، الجبل، الأزرق، الأصفر، الأخضر، البني، الأصفر، الليلكي، الحب، البغض، السلم، الحرب، الشرق، الغرب، الأمل، اليأس، الحب، الحب، الحب.. عمر الأنسي".

معلم المائيات بين الواقع والحلم، بين الانطباعية والواقعية التعبيرية ترك فيها أجمل ما أنتجه، وهو أطل من الواقعية التصويرية الى هوامش تجريدية ما في تعشيق الألوان، في تعامله مع المنظر الطبيعي وتحويل المادة الى ميزان تعبيري حسي على امتلاء عاطفي وشاعري. ثم قد يبدو عمر الأنسي من البارزين بين رعيله

فنياً وتطبيقياً باحترامه للون وللواقع وتجسيم هذا الأخير بحوارات لونية مختزلة على تقشف وبشفافية رائعة لونياً وهو بهذا يتمايز عن أترابه على صعيد المعالجة الصافية والإحساس بأهمية اللون في معالجة المواضيع بين الطبيعة والإنسان.

صحيح أن عمر الأنسي عالج كما رعيله المواضيع التقليدية، لكن الصحيح أيضاً أنه طور فيها تطويراً رائعاً بكيفيات تقريب اللون من اللون، وإن لم يتجاوزها فبقي في حدود تعليم الانطباعية، من دون أن يظهر كثيراً من ألوانها وعن طرقها لكن بإحساس صافٍعلى بعض من خجلٍوطراوة وبإمتياز رائع ورفيع.

برز الأنسي في الرسم المائي ومع ذلك له أعمال زيتية هامة وتمكن من خلال نتاجه الضخم من التحرر من إطار الرسم التقليدي وساعدته أسفاره الى فرنسا وإلمانيا وسويسرا وإسبانيا وإيطاليا على رسم مشاهد وأشكال في مجاميع أضواء إنطباعية مدينية ساطعة تسربت الى المشهد الطبيعي الريفي وأضافت الى الحس الطبيعي النفس الذاتي المنفتح والمتجاوز للتأثيرات الانغلو ـ ساكسونية.

برع الأنسي في رسم اللوحات التي تجسد الطبيعة والتراث والعادات والتقاليد كما الوجوه الريفية والمناظر الطبيعية على خلفية كلاسيكية في الالتزام الاجتماعي مع الطبيعية لكن بحس فني مشبع بالموسيقى وايقاعات الزمن الجميل الشاعري وفي إطار متفاوت عن المشروع الاستشراقي التصويري،الفوتواغرافي آنذاك وعبر الذهاب الى الأقصى في جوهر المنظر برهافات وجماليات وسر وجزئيات في الاستدلال الى حاسة عمل تشكيلية جديدة.

الى النصب الذي يجسد الفنان بطبيعته وشخصيته في ناحية قلب المدينة الرومنسي والهادئ، من الأهمية السؤال على هامش المناسبة عن نتاج الفنان الضخم كما نتاجات الرواد اللبنانين الأوائل وعن المتحف التشكيلي.

سؤال ملح ومتكرر برسم الجيل الثالث من أحفاد الورثة الذين أغلقوا على أعماله وشتتوها، أو باعوها، وبرسم وزارة الثقافة المسؤولة عن حماية التراث الوطني الذي تعرض لعمليات التلف والسرقة، التي طاولت أعمال الأنسي كما غيرها من التحف الفنية التي نهبت من أرشيف الاونيسكو، من مثل لوحة الفينيقيين المختفية من مطار بيروت الدولي، ومعلوم أن الأنسي لم يكن من هواة بيع أعماله ولم تشغله الحالة المادية وترك الكثير من الرسوم المجهولة لغاية الآن.

يبقى أن كثيرة هي الأماكن التي تدل بالطبع على عمر الأنسي، الفنان الخصب الذي ألف وائتلف مع الطبيعة اللبنانية في مساحة تنوع ثقافي وجمالي أطل منها على الوطن حضوراً مدينياً يحمل معنى الصفحة أو الصفحات من كتاب جميل من زمن يندثر رسمه بشغف عاطفي ملون بالماء والزيت والفحم وغيرها من مواد استعملها.

البيروتي الجميل في فضاء بياض اللوحة المائية والفنان المتنوع بين الذاتية والمشهد الطبيعي والشخصيات والعري الانثوي، والتجريبي في كثافة التعبير وتركيب الألوان وعلاقتها بالضوء، وفي اختيار الموضوعات والمساحات كما الحركة والأداء، المباشر البسيط والرمزي، والمتعالي والتجريدي في تمثيل الواقع، الخجول والطري في سكنه لجماليات الجسد الانثوي هذا الأنسي الحسي يعود الى ضجيج المدينة! وأي صوت لمدينة ثقافية مأزومة بغياب أصحابها الحقيقيين.

إشارة الى أن إنجاز مشروع النصب حظي بدعم معنوي ومادي من قبل السيدة نازك رفيق الحريري التي سترعى الحدث وإزاحة الستار عن النصب وهي كانت رعت إصدار الكتاب الأخير الأنيق الذى يرسم بالألوان سيرة عمر الأنسي.

نبذة

* ولد عمر الأنسي في العام 1901 في تلة الخياط في بيروت. بدأ بدراسة الطب وأنتهى باحتراف الرسم.
* والده الدكتور عبد الرحمن الأنسي طبيب بلدية بيروت، وجده لأبيه الشاعر عمر الأنسي، من شعراء النهضة في القرن التاسع عشر.
* تزوج من سيدتين فرنسيتين هما ايما موران وماري بيوير.
* عام 1920 ارتاد محترف الفنان خليل الصليبي وتأثر بأعماله.
* عام 1922 انتقل الى شرق الأردن ومكث خمس سنوات عند إبن عمه محمد باشا الأنسي رئيس الديوان الملكي حيث درس الأمير طلال الانكليزية ورسم طبيعة الأردن وفلسطين.
* عام 1928 سافر الى باريس لثلاث سنوات ارتاد خلالها الأكاديميات والمحترفات وهناك تعرف على النحات يوسف الحويك فأقام له معرضاً حيث باع جميع الرسومات تشجيعاً له.
* عام 1933 عاد الى بيروت الى تلة الخياط ولحقت به إيما وتوفيت بعد عامين.
*اشترك في عدة معارض نظمتها وزارة التربية والفنون الجميلة وكان أهمها المعرض اللبناني 1937.
* عام 1938 أقام معرضاً في الزيتونة، وهناك تعرف الى ماري بوير الفرنسية وتزوجها في العام 1939.
* توفي في 3 حزيران في العام 1969
* صدرت أعماله المصورة اخيراً في كتاب عن متحف سرسق على هامش معرض استعادي افتتح في نيسان

.1997
* ترك الكثير من الأعمال الفنية المجهولة لغاية الآن.